روح الأرواح

تأليف

الشيخ الإمام العالم الأوحد شيخ الإسلام

أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي

(٥١٠ - ٥٩٧)

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت ـ لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ ـ ٨١٥٥٧٣

٢٠٠٠ طبعة ٥٢٥

رُوحُ الأَرْوَاحِ

مضمون كتاب روح الأرواح

«كلامي يُصلح الأجسادَ وَالأرواح، فَهْو للعارفِ مَجلسُ أُنس، وللتائب مَجلسُ حُزنٍ، ولأهلِ النهاياتِ إشاراتٍ، ولأهلِ البداياتِ عباراتٍ.

إلَهي، أَنتَ بَسطتَ لسانِي في مَيدانِ العبارةِ ببدائعِ الثناءَ عَليك، وَنَثرتَ مَحاسِنَ صِفَاتِكَ، بأَنْ أَدُلَّ مَنْ أَساءَ عَليكَ، فَأجعل مَجْلِسنَا رَوْضَةً تَزهُو الربيعِ علَى المصيف.

إلَهي، ارْحمنَا بِمنْ قَبلتَهُ فقلبتُه فَعادَ مِنْ نُحَاسِ المعصيةِ إلى ذهبِ التوبةِ.

يَا أرحمَ الراحمينَ».

الإمام ابن الجوزي

(انظر كتاب روح الأرواح ـ نهاية الفصل الثالث)

شيوخ ابن الجوزى ومؤلفاته

شيوخ ابن الجوزي:

١ ـ ابن الحصين.
٢ ـ أبو عبدالله البارع.
٣ ـ عبد الواحد الدنيوري.
٤ ـ أبو الوقت السجزي.
٥ ـ أبو منصور محمد بن خيرون توفى سنة ٥٣٩ هـ.
٦ ـ أبو منصور الجواليقي صاحب المعري توفى سنة ٥٤٠ هـ.

مؤلفاته:

شغل الإمام ابن الجوزي الباحثين بما قدمه من نتاج فكري ينم عن ثراء وعطاء. وهذه المؤلفات الكثيرة هي التي تحمل مشعل الطريق الذي يضيء للباحثين:

١ ـ فنون الأفنان.
٢ ـ صيد الخاطر.
٣ ـ الأذكياء.
٤ ـ صفوة الصفوة.
٥ ـ الوجوه والنظائر في اللغة.
٦ ـ جامع المسانيد.
٧ ـ الحدائق.
٨ ـ عيون الحكايات.
٩ ـ تذكرة الأديب في اللغة.
١٠ ـ المغني في علوم القرآن.
١١ ـ المدهش.
١٢ ـ مشكل الصحاح.

١٣ ـ الواهيات.
١٤ ـ الموضوعات.
١٥ ـ تلقيح فهوم أهل الأثر.
١٦ ـ المُذهب في المَذهب.
١٧ ـ الانتصاف في مسائل الخلاف.
١٨ ـ المنتخب.
١٩ ـ نسيم السحر.
٢٠ ـ أخبار النساء.
٢١ ـ أخبار الأخيار.
٢٢ ـ اليواقيت في الخطب الوعظية.
٢٣ ـ الدلائل في منثور المسائل.
٢٤ ـ المنتظم في التاريخ.
٢٥ ـ الضعفاء
٢٦ ـ ذم الهوى.
٢٧ ـ ذم الهوى.
٢٨ ـ تلبيس إبليس.
٢٩ ـ المغفلون.
٣٠ ـ الأذكياء.
٣١ ـ مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن.
٣٢ ـ المقيم المعقد في دقائق العربية.
٣٣ ـ مناقب عمر بن الخطاب.
٣٤ ـ نفح الطيب.
٣٥ ـ روح الأرواح (كتابنا هذا).
٣٦ ـ بستان الواعظين.
٣٧ ـ الوفا في فضائل المصطفى.
٣٨ ـ فضائل القدس.
٣٩ ـ شذور العقود في تاريخ العهود.
٤٠ ـ لقط المنافع في الطب والفراسة عند العرب.
٤١ ـ مختصر المنتظم.
٤٢ ـ المجتبى في علوم تتعلق بالقرآن.
٤٣ ـ نتيجة الإحياء (اختصر فيه إحياء علوم الدين).
٤٤ ـ تقويم اللسان.
٤٥ ـ عجائب البدائع.
٤٦ ـ زاد المسير في علم التفسير.
٤٧ ـ دفع شبهة التشبيه والرد على المجسمة.
٤٨ ـ فنون الأفنان في عجائب القرآن.
٤٩ ـ مناقب أحمد بن حنبل.
٥٠ ـ تبصرة الأخيار.
٥١ ـ المختار من أخبار المختار.
٥٢ ـ بستان الواعظين.
٥٣ ـ النور في فضائل الأيام والشهور.
٥٤ ـ تهذيب المسند عشرون مجلداً.
٥٥ ـ التبصرة.
٥٦ ـ التفسير الكبير في عشرين مجلد.
٥٧ ـ المواعظ والمجالس.
٥٨ ـ الثبات عند الممات.
٥٩ ـ لفتة الكبير الى نصيحة الولد.
٦٠ ـ منهاج المريدين.

٦١ ـ القصاص والمذكرون.
٦٢ ـ الكشف في احاديث الصحيحين.
٦٣ ـ حبة النظر.
٦٤ ـ مناقب عمر بن عبد العزيز.
٦٥ ـ لمسات الزهر وفريدة الدهر.
٦٦ ـ كنز المذكرين.
٦٧ ـ لطائف المعارف.
٦٨ ـ في الحث على طلب العلم.
٦٩ ـ سلوة الأحزان بما روي عن أهل العرفان.
٧٠ ـ الرد على المستعب العنيد المانع من ذم يزيد.
٧١ ـ الذهب المسبوك في سير الملوك.
٧٢ ـ فضائل المدينة المنورة.
٧٣ ـ مثير الغرام لساكني الشام.
٧٤ ـ الطب الروحاني.
٧٥ ـ منهاج أهل الإصابة في صحبة الصحابة.
٧٦ ـ المصفى بألف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ.
٧٧ ـ نور الغبش في فضائل السود والحبش.

فكرة عن منهج ابن الجوزي
من خلال بعض فصول كتابه

الفصل الأول

تحدث فيه الإمام ابن الجوزي عن أن من يجب له الحمد والشكر هو الله سبحانه وتعالى لنعمه التي لا تحصى والتي قال عنها ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**﴾ وأن الله يعلم كل صغيرة وكبيرة ﴿**وما تسقط من ورقة إلا يعلمها**﴾ (الأنعام ـ ٥٩).

وقال: «الحمد لله الذي لا تخالطه الأوهام، ولا تحيط به الظنون يعلم هجس الهاجس في الخاطر، وما تخفى العيون، استوى على العرش، وهو معكم تعالى عن الحركة والسكون، رفع السماء على عماد القُدرة، وأسكنها ملائكة عن ذكره وعبادته لا يفترون يُسخرهم فيما شاء من أفعاله ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾ (التحريم ـ ٦).

ثم أخذ يسرد حكايات عن الزهاد والعباد، هؤلاء النفر الذين خلت قلوبهم من مادية الأرض إلى شفافية السماء.

فذكر عن: محمد بن المنكدر، ويحيى بن أيوب، وجعفر السقا، وأبو هاشم، وذي النون المصري، والفضيل بن عياض.

وبذا يختم هذا الفصل الذي يقول في نهايته:

«إخواني ناشدتكم الله من حاله مثل حالي فليساعدني بدعوة أن يرحم الله غربتي إذا انسيتني الذاكرون وأن يذكرني برحمته».

الفصل الثاني

١ ـ يبدؤه بالثناء على الله فيقول: «الحمد لله الذي تعرف إلى أوليائه بنعوت الجلال فعرفوه داوم به عليهم فوافقهم بالأنس فألفوه ألهم أسرارهم فبذكره لهم ذكروه، يباهي بأحوالهم الملائكة وكيف لا وقد أحبهم وأحبوه...».

٢ ـ ويعبر الإمام ابن الجوزي عن شفافية الروح وصفاء النفس الطاهرة ومدى ارتباطها بغيرها فيذكر في هذا الصدد حديث سيدنا رسول الله ﷺ الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه والذي يقول فيه:

«الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف».

سبحانك يا رب لك في تعارف الأرواح أحكام قدرة هذا لهذا ولم تقدر هذا لهذا وأنت في اختيارك تفعل ما تريد فلا تسأل عما تفعل ونحن نسأل.

٣ ـ وهنا أيضاً يذكر حكايات عن شيوخ العارفين بالله والسالكين الطريق فينقل حكايات عن مالك بن دينار، وعبد الواحد بن زيد، وسهل بن عبدالله التستري، وابن الجواد.

٤ ـ أبرز ما يميز التصوف الإسلامي هو تلك الإشارات اللطيفة والعبارات الرقيقة التي تحمل في طياتها مغزى نبيل ومعنى جليل. أقوالهم ترمز إلى معاني العرفان والحب والولاء وكان يسعف الكثير منهم للنطق بهذه الخلجات ان بعضهم كان يقول الشعر إذ أن الشعر كلمات بسيطة تحمل المعاني الجليلة فلا يفوت الإمام ابن الجوزي أن يُطعم كتابه بهذه الأشعار فدبج كتابه بكثير من هذه الأشعار مثل:

سلام على قلب تعرض للهوى ... سلام عليه أحرقته شجون
وعذبه هم يهيج حزنه ... فمالهم والأحزان فيه فنون
ألا هل على الشوق المبرح مسعر ... وهل لي على الشوق الشديد معين
ألام على فيض الدموع ولا أرى ... محبا كئيبا للدموع يصون
أيسلى حَمَامُ الأيك من بعد إلفه ... ويصبو عنه كيف ذلك يكون
ولم لا أبكى ثم أندب ما مضى ... وداء الهوى بين الضلوع دفين

إن مما يجب أن نلفت له الأنظار أن الحب والهوى والغرام والعشق والتعلق وما يصحب من ذلك من همس في الكلمات وبوح بخلجات النفس وخطرات الفؤاد كان يقصد منه مناجاة الله عز وجل والاستغاثة به من همزات الشياطين وهوى النفس وتسلط الدنيا على الإنسان وكان يقصد به أيضاً إعلان التمسك بكتاب الله وشريعة سيدنا رسول الله.

ولسنا نذهب مذهب من ينكر تلك المشاعر النبيلة في النفس بل نعلن هذه المشاعر ونصرح بها ما دامت موجهة إلى إعلان التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وهو سلوك المعتدلين من أهل الطريق وأهل الزهد من جماعة المسلمين.

وهذا نموذج آخر يعكس مدى تعلق المسلم بكتاب الله وما أضربه عن يوم القيامة وضرورة الزهد في الدنيا.

يا غادياً في لهوه ورائحاً ... إلى متى تستحسن القبائحا
وكم إلى كم ما تخاف موقفا ... يستنطق الله به الجوارحا
يا عجباً منك وأنت مبصر ... كيف تجنبت الطريق الواضحا
وكيف ترضى أن تكون خاسرا ... يوم يفوز من يكون رابحا

ثم يختم الإمام ابن الجوزي الفصل الثاني بهذا النداء الذي يقول فيه:

إخواني: من وجد منكم في خلوته فليذكر أن له في التوبة نصيباً. فلا ينسى الذليل ـ أي يدعو للإمام ابن الجوزي ـ أن يرحم الله غربته إذا نسيه الذاكرون.

الفصل الثالث

يا من باسم حبيبه يترنم ... هذا هو الاسم الأعز الأكرم
أقلقت أرباب القلوب بذكره ... فاحكم بما تهوى فأنت محكم
لا تطلبن سواه والزم هنها ... إن كنت تدري ما تقول وتفهم
انشد بهذا البيت بيتا شائعاً ... قد حار فيه عاشق ومتيم
وقف الهوى لي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيذة ... شغفا بذكرك فليلمني اللُّوم

١ ـ بدأ الإمام ابن الجوزي هذا الفصل بالثناء على الله لأنه: «تنزه عن التشبيه والتمثيل والمثال وتوحّد في وحدانيته عن المؤانس والمؤازر والمشير وتعاظم في قدرته عن الصاحب والصاحبة».

٢ ـ إن المؤمن يحمد الله عز وجل: «حمد من وقف على ساحل بحر التوحيد فشاهد ما فيه من الأحوال».

٣ ـ إن توحيد الله عز وجل يقتضي من المسلم: أن لا يجسم ذات الله ولا يعلل صفاته.

٤ ـ يبين الإمام ابن الجوزي عن فلسفة موضوع كتابه فيقول: «كلامي يصلح الأجساد والأرواح، فهو للعارف مجلس أنس. وللتائب مجلس حُزن، ولأهل النهايات إشارات، ولأهل البدايات عبارات. إلهي أنت بسطت لساني في ميدان العبارة ببدائع الثناء عليك، ونشرت محاسن صفاتك بأن أول من أساء عليك؛ فاجعل مجلسنا روضة تزهوا الربيع على المصيف، إلهي: ثبت جميل ما وهبته لنا من توحيدك إلى الممات، إلهي: ارحمنا بمن قبلته فعاد من نحاس المعصية إلى ذهب التوبة يا أرحم الراحمين».

وهكذا إذا تتبعنا فصول الكتاب نجد فيها العلم الغزير والشعر الصوفي الراقي الذي يربط الإنسان بربه مما يدل على عمق ثقافة ابن الجوزي وغزارة منحاه العلمي والله يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه.

محمود محمد محمود حسن نصار
خريج دار العلوم
تاج العز/ دقهلية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال العبد الفقير إلى عفو ربه جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه:

الحمد لله بارىء النسم ومجري القلم ومظهر الوجود العدم.

(أحمده)

حمد مقصر عن مدى شكره وأسأله المزيد مِنْ فضلهِ وَبرهِ وأُصلي على رسوله محمد نبيه وَعلى آلهِ وَأَصحابهِ وحزبهِ.

(أما بعد)

فقد أعرَبَ وَأغرَبَ فأتى بالمذهب المُذَهّب من المُترف بسبق من سابقته وأنشد لسان فصاحته:

* ليس التكحل في العينين كالكحل *

فلو سترت على نفسي لأبقيت وعظي مستوراً ولَكِنَّ كَانَ أمرُ اللهِ قدراً مُقدراً وأنا أسأل من نظر في كتابي هذا ورأى فيه تقصيراً فليبسط لسان العذر فيه ولنأخذ منه ما حرك قلبه ويلهيه فما كل السماع مطرب ولا كل الشجر مثمر، وأسأل من نظر فيه بحرمة الإسلام أن يدعو الله لي بالممات عليه والمغفرة إذا انقلبت إليه ولوالدي ولجميع المسلمين وقد رتبته فصولاً مختصرة ولقبته بروح الأرواح والله أسأل أن ينفع به من سمعه من كافة المسلمين إنه سميع مجيب.

الفصل الأول

الحمدلله الذي تفرد بالوحدانية واحتجب بالعظمة في الدُّنيا عَنْ أَنْ يُرى توحّد بالأحديّةِ في قِدَمِهِ تعالى عَنْ قَولِ الجَاحِدِ وَمَا افترىٰ جَعَلَ السَمَاءَ مَيداناً لخيولِ

الكواكب تركضُ فيهِ مِنْ شَرقٍ لغروبٍ مُحكمة بها القلم جرى بَسَطَ الأرض مِهَاداً للبسيطة ليظهر فيها ما سبق في التقدير وما جَرَى حِكم حَاكِم قَضَائِهُ عَلَى الوجود بالفناء فنفذ أمره بلا افتراء حكمه ماضٍ في السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى قيد الخلائق بتكييف التكليف فابتلاهم بما يسمع وما يرى أحصى عليهم أعمالهم يقرؤها يوم الحساب من لا فراء يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً والحمد لله المنفرد بعلم ما تكنه الضمائر وتهجس في الأسرار ليس لله في خلقه شريك ولا معين ولا أعوان ولا أنصار جل عَنْ المثال والأمثال والحدود والجهات والأقطار تقدّس عَنْ أَنْ يحصره فكرُهُ ويحده أين أو يُدركه وَهمٌ شَرفَ عَنْ الكُنهِ وَالمِقدارُ فعجن طين الخلائق بالعجز عن إدراك كيفية ذاته جل الواحد القهار فكمال الوجود عجز وكيف لا وهو مقهور بقادر الأقدار مزج صفوه بكدر الشهوة وغير بصيرته بغبار الأغيار أقام عليه رقيب الأمر وعتيد النهي فهو يثنيهما في شدائد وأخطار يحصى عليه ديوان أعماله كبائرها والصغار يدفن في غُربته مَا أطولها غُرلة ومَا أبعدها عَنْ دارٍ ثُمَّ يُحاسبُ عَلَى مَا كسبت يَداهُ فإمّا إلى جنةٍ وإمَا إلى نار ﴿**يوم تُبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار**﴾[1] والحمدُلله الذي لا تُخالطه الأوهام ولا تحيط بِهِ الظُنونَ يَعلَمُ هجس الهاجس في الخاطر وما تخفي العيون استوى على العرش وهو معكم تعالى عن الحركة والسُّكونِ رفع السماء على عماد القُدرة وأسكنها ملائكة عن ذكره وعبادتهِ لا يفترون يُسخرهم فيما شاءَ مِنْ أفعالهِ ﴿**لا يَعصَونَ اللَّه مَا أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾[2] دحا الأرض على يحرز آخر شحنة بقهرة فهو مشحون مهدها مهاداً للخلائق وبثَّ فيها أقواتهم ففيها يرزقون منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها تخرجون أرسل إليهم الرسائل تدلهم عليه فهذا مقبول وهذا مفتون فالعارفون شمروا عن ساق الجد وأهل الغفلة في لهو الهوى يلعبون كما أطالوا نوم الغفلة على فراش البطالة لا يستيقظون ﴿**حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفطرون**﴾[3] فسبحان من يقول للشيء كن فيكون أحمده حمد

(١) سورة إبراهيم، الآية «٤٨».

(٢) سورة التحريم، الآية «٦».

(٣) سورة الأنعام، الآية «٦١».

مَنْ يعلم إنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن إنه لو كان كيف يكون وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستودعها عنده ليوم المنون وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أودع عنده سره فهو مصون صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما ركع الراكعون وسجد الساجدون يا من تحدثه الحوادث وهو ما يسمع يا من تناديه العبر ارجع إلى الطريق وما يرجع جس طبيب الموعظة نبض عظمك فأوجد في حياتك مطمع كم نمو في الهوى وكم نوم في الغفلة وثوب شبابك تقطع كم ذا التماهي كم ذا التمادي وفجر المشيب يطلع تبني ما لا تسكن وأكثر مما تأكل تجمع إذا ذهب منك فليس تحزن وتفرح بعمر ولى في اللهو يا ليته يرجع أما عاينت وضع الأحباب في التراب في لحد خراب بلفع نقلوا من فسيح القصور إلى هول يخرس اللسان أن يعبر عما يرى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا.

(حكايــة)

قال محمد بن المنكدر[1] كانت لي سارية في مسجد رسول الله ﷺ أجلس إليها بالليل فقحط أهل المدينة سنة فخرجوا يستسقون فلم يسقوا فلما كان الليل صليت العشاء في المسجد ثم جئت فاستندت إلى ساريتي فجاء رجل أسود يعلوه صفرة مرتد بكساء أصفر على رقبته كساء أصغر منه فتقدم إلى السارية التي بين يدي فكنت خلفه فقام فصلى ثم جلس فقال: يا ربي خرج أهل نبيك ﷺ يستسقون فلم تسقهم وأنا أقسم عليك ألا سقيتهم الساعة، قال ابن المنكدر: فقلت هذا مجنون، قال: ما وضع يده حتى سمعت الرعد ثم جاءت السماء بالمطر حمد الله وأثنى عليه بحامد لم أسمع بمثلها قط ثم قال: ومن أنا وما أنا حيث استجبت لي ولكن جُدت بحمدك وجدت بطولك، ثم قام فتوشح وألقى الكساء الآخر الذي كان على ظهره بين رجليه قام يصلي فلم يزل يصلي حتى إذا أحس بالصبح سجد وأوتر وصلى ركعتي ثم أقيمت صلاة الصبح فدخل الناس في الصلاة ودخلت معهم فلما سلم الأمام خرج

(١) محمد بن المنكدر رضي الله تعالى عنه.
كان يقول: كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت على آثار السلف، وكان يحج بالأطفال ويقول: نعرضهم على الله لعله ينظر إليهم، وكان يقول: إن الفقير يدخل بين الله وبين عباده فلينظر كيف يدخل... توفي بالمدينة سنة ثلاثين ومائة.

وخرجت خلفه حتى إذا انتهى إلى باب المسجد فخرج يرفع ثوبه يخوض الماء فرفعت خلفه ثوبي أخوض الماء فلم أدر أين ذهب فلما كانت الليلة الثانية صليت العشاء في المسجد كعادتي ثم جئت لساريتي فتوسدت إليها وجاء فقام وتوشح بكسائه وألقى الكساء الآخر الذي كان على ظهره بين رجليه وقام يصلي فلم يزل قائماً حتى أحس بالصبح سجد وأوتر ثم صلى ركعتي الفجر ثم أقيمت الصلاة ودخل مع الناس في الصلاة ودخلت معه فلما سلم الأمام خرج من المسجد وخرجت خلفه فجعل يمشي فاتبعته حتى دخل داراً قد عرفتها من دور المدينة ثم رجعت إلى المسجد فلما طلعت الشمس وصليت خرجت حتى أتيت الدار فإذا أنا به قاعداً يخرز وإذا به إسكاف فلما رآني عرفني، فقال: يا أبا عبدالله مرحباً ألك حاجة تريد أن أعمل لك خفاً؟ فجلست وقلت: ألست صاحبي البارحة الأولى فاسود وجهه وصاح بي وقال: يا ابن المنكدر ما أنت وذاك؟ قال: فغضب فعرفت منه الغضب، وقلت: أخرج من عنده الآن فلما كانت الليلة الثالثة صليت العشاء في مسجد رسول الله ﷺ ثم أتيت ساريتي فاستندت إليها فلم يجيء فقلت: إنّ لله ما صنعت، فلما أصبحت جلست في المسجد حتى طلعت الشمس وخرجت حتى أتيت الدار التي كان فيها فإذا باب البيت مفتوح وليس فيه شيء فقال لي أهل الدار: يا أبا عبدالله ما كان بينك وبين هذا أمس؟ قلت: ما له؟ قالوا: لما خرجت من عنده أمس بسط كساءه وسط البيت ثم لم يدع في بيته جلداً ولا قالباً إلا وضعه في كسائه ثم حمله وخرج فلم ندر أين ذهب، قال محمد بن المنكدر: ما تركت بالمدينة دار أعلمها إلا وطلبته فيها فلم أجده:

أهيم بمحبوبي وما يعرفونه ... ولو أنهم ذاقوا الغرام لهاموا
هل المحب إلا لوعة مسكنة ... ثم عليها زفرة وغرام
أحن إذا فاحت من الغور نفحة ... وناحت بأعلى الدوحتين حمام
وجن الدجى ثم استمر ظلامه ... وفض عليه للنسيم ختام
وكم من أناس لا محبة عندهم ... نيام وجفن الصب ليس حرام
أذاب الهوى أجسامهم وقلوبهم ... ولم يبق إلا جلدهم وعظام
مررت بناديهم فناديت ربعهم ... وقد ملكتني زفرة وغرام

على عذابات الأبرقين خيامهم عليهن مني أحييت سلام

يا طويل الأمل في طلب الفاني يا عبد السوء أما غنيتك بإحساني أما خلقتك بيدي أما نفخت فيك من روحي أما علمت فعلي بمن عصاني أما تستحي مني تذكرني في الشدائد وفي الرخا تنساني عين بصيرتك أعماها الهوى فقل لي بماذا تراني هذا كمال الموعظة فكم هذا التواني إن صالحتني على صالحك أعطيتك الأماني أترك داراً صفوها كدر وآمالها أماني بعت وصلي ويحك بالدون وليس لي في الوجود ثاني ما جوابك إذا أشهدت عليك الجوارح بما تسمع وما ترى يوم تجد كل نفس ما عملت من خيراً محضرا.

(حكايـة)

قال يحيى بن أيوب: خرجت يوماً إلى مقابر باب خراسان ثم جلست في موضع أرى منه من يدخل المقابر فنظرت إلى رجل دخل المقابر مقنعاً فجعل يجول في المقابر وكلما رأى قبراً مفتوحاً مخسفاً وقف عليه يبكي فقمت رجاء أن أنتفع به فلما جرت إليه إذا هو سعدون المعتوه وكان يسكن في كوخ من مقابر عبدالله بن مالك فقلت له: يا سعدون أي شيء تصنع ههنا؟ فقال: يا يحيى هل لك أن تجلس فنبكي على بلى هذه الأبدان، ثم قال: يا يحيى البكاء من الندم والله أولى من البكاء على هذه الأبدان، ثم قال يا يحيى: ﴿**وإذا الصحف نشرت**﴾، ثم صاح صيحة شديدة وقال: واغوثاه يا لله يا لله مما يقابلني من الصحف، قال: يا يحيى فغشي علي فأفقت وهو جالس يمسخ وجهي بكمه وهو يقول من أشرف منك لو مت مكانك:

كلفتني وجداً فليس أطيق وسقيتني خمراً فلست أفيق
وسددت عني باب وصلك قاصداً لما صددت فما إليه طريق
وجعلتني أصلى بنار تشوقي فأنا إليك مع الزمان مشوق
شهدت لي الزفرات أن بباطني كبداً ثوى فيها جوى وحريق
إن لم أرق دمعي عليك صبابة فلأي شيء بعده فأريق
فإلى متى وصل أسر بقربة يوماً ولا عدله تحقيق
لا راحة مع العاشقين مع الهوى يقضي بها قرب ولا تفريق

أرفق علي وداً لذا أمرضته إن الطبيب مع المريض رفيق

يا من تعثر في ذيل هرأه متى يبدو من التوبة الصباح يا من غره ليل الشباب هذا فجر المشيب قد لاح أبلغت قوتك في طلب القوت وفي الكبر نرجو الصلاح يا كهول البطالة قص الهرم من عزائمكم جناح أملك في الهند وربما نعشك عند الصباح أين من حصن الحصون وغدا في لهوه وراح أبادهم الحدثان فكم لهم تحت اللحود لو سمعت من صياح يودا أحدهم ساعة من عمرك عساه بالأقالة يرتاح يا معشر المذنبين هذا مأتم الأحزان فأين البكاء وأين النواح إن فاتك طب وعظى فستقوى عليك الجراح أحدد نصل دينك بالتنصل لعلك تلحق بالصحاح سيندم المفرطون يوم هتك الأستار يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار.

(حكايـة)

قال جعفر السقا: خرجت يوماً من بيتي في يوم ممطر فإذا أسود مطروح على مزبلة مريض قال: فجررته فأدخلته إلى بيتي فلما أمسينا دعاني وقال: يا أبا جعفر لا تفسد ما صنعت أقعد عندي وفاح البيت بريح المسك وصار ريح جبتي وكسائي وأكوابي وجرتي وكل شيء في البيت ريح المسك:

نشأه القرب نشرها معطار وشباها فيه لنا أوطار
اتنشق عرفها فقد عطر الكو ن وطابت بطيبه الأقطار
فإليها صغت قلوب أناس كلما استنشقوا النسائم طاروا
وعليها ذابت قلوب كرام كل قلب منهم بها مستطار
وعليها بكت عيون بدمع قصرت عن سبق له الأمطار

فقال لي: اقعد عندي ثم قال بيده هكذا ألا تضيق على جلسائي انزل يا أخواه ارفق بي يا ملاذي ثم خرجت نفسه، فقلت: أبيع كسائي وأبيع جبتي وأشتري له كفناً، قال: وطرق بابي أناس كل يقول مات عندك إنسان يحتاج إلى كفن يا أبا جعفر:

أشكو إليك تباريحي وأشواقي وما أُلاقي بكم من فيض أماقي

ولـوعـة سكنت بين الجـوانـح مـا ... ألقى لهـا غيـر وصـل منكم واقي
أين الـذي كـان مـا بيني وبينكم ... من الـوصـال ومن عهـد وميـثـاق
أخـذتـمـوا القلب من جسم بقى دنفا[1] ... يـوم الـرحيـل لمن خلقتمـو البـاقي
خلقتمـوني طـريحـاً عنـد كـاظمـه ... دمعي شرابي ولي من ذكركم سـاق
من لي يبلغكم مـني الـسـلام ومن ... يهـدي إليكم تبـاريحـي وأشـواقي
أشعلتم في الحشـا نـاراً ببعـدكـم ... فهـل يحـل لكم بـالنـار إحـراقي

واعجباه كم لي أحدث قلبك وما عندك خبر ضيعت شبابك في الغفلة وتبكي عند الكبر كيف استلمت فرش المعاصي ما الذي أعمى منك البصر تعصي من خلقك من نطفة وقدر عليك وقدر بيد خزائن السمٰوات والأرض ويستقرض منك ويتخذ وللذي عندك محتقر له البحر المسجور ويطلب منك دمعة تطفىء بها لهب مستعر جفت عيونك من ماء الخشية وما لك عبرة فيمن اعتبر ما أرى الشقاء إلا من أصل الفطرة لا حيلة في الأطرش ولا طب في الأعمى وقد عدم البصر فبالله بادر بالتوبة قبل ظهور الأسرار يوم تُبدلُ الأرضَ غَيرُ الأرضِ والسموات وبرزوا لله الواحد القهار.

(حكايـة)

قال أبو هشام: قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها شبونة فنزلت في بعض رباعنا فكنت أسمع لها في الليل نحيباً وشهيقاً، فقلت للخادمة: أشرفي على هذه المرأة فانظري ماذا تصنع، فأشرفت فإذا هي قائمة مستقبلة القبلة رافعةرأسها إلى السماء فقلت: ما تصنع؟ قالت: ما أراها تصنع شيئاً غير أنّها لا ترد طرفها عَنْ السماء فقلت اسمعي ما تقول قالت: لا أفهم كثيراً من قولها غير أني أسمعها تقول أراك سويتها من طيـن لازب غمرتها بنعمتك تغدوها من حال إلى حال وكل أحوالك صيرتها لها جنة وكل بلائك عندها جميل وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالدوم على معاصيك أترى أنها تظن أنك لا ترى سوء فعلها بلى وأنت على كل شيء شهيد قال ثم صرخت وسقطت فأخبرتني الجارية بسقطتها فلما أصبحنا نظرنا فإذا بها قد ماتت:

(١) الجسم الدنف: الجسم المريض.

أهيم إلى ذكر الحبيب صبابة ... إذا ما أرى من نحوه البرق يلمع
إذا هب لي منه نسيم أخالني ... لمسراه أحشائي تكاد تقطع
نما حبه في كل قلب كأنه ... شفاء الضنا المعتاد بل هو أنفع
ومن ذكره يُسبى[1] الحزين كأنما ... تباشر منها السمع يسرى ويرجع
ومن لاسمه في كل قلب حلاوة ... هو الشهد طعماً بل ألذ وأنفع
إذا ما جرى ذكر الحبيب تقطعت ... بذكراه أكباد رقاق وأضلع
له موقع في كل قلب كأنما ... به في رياض جنة الخلد يرتع
تفوق صفات الواصفين صفاته ... على أنها تدعوا أؤمل يطمع

ويحك كم تبارز في المعاصي من حولك يا عبد السوء كم أبعدك عن طريق من عمد لك أظننت أنه أهملك بل أمهلك إن مشيت للطاعة أبطأت وللمعصية ما أعجلك يامأسور في سجن الغفلة لا يدري حيث سلك أعمت بصيرتك الشهوات فأنت هالك فيمن هلك ملأت ديوانك بالجرائم وملك الموت قد برز لك من الهرم أمتلأ نهر غمرك وانقطع من قواك أكلك بادر ساحل التوبة لا أم لك طاب السماع ليت شعري ما الذي شغلك إن انقضى المجلس وما تبت فأنت مطرود ما قبلك إذا رأيت محامل التائبين تمر بك فعلق بأذيالهم أملك بادر باب الحبيب قبل أن يطري دستور الملك وتندم حيث لا ينفع الندم والأعذار يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار قال ابن صبح قلت لعبدالله البراني كم هذا البكاء مساءاً وصباحاً فأخرج لي يده وإذا على أصبعه شعرة ملفوفة فنشرها ثم قال يا سعيد إذا كان الجواز على الصراط مثل هذه فأي قدم يثبت على مثل هذه ثم أخذني البكاء:

متى أراكم على ضعفي تجودونا ... يا من جفونا وقالوا ما يريدونا
أمرضتمونا بطول البعد أسفي ... بحرمة العهد عودوا ثم عودونا
بحق عهد تقضى من وصالكم ... إن كان ترضيكم البلوى فزيدونا
وعذبوا ما استطعتم يا أحبتنا ... إلا من الباب حقاً لا تردونا

(١) السبي: الأسر.